شوبان وكشف المخبإ

شوبان (Chopin) من مشاهير الموسيقيين الفرنسويين البولونيين الذين نشأوا في اوائل القرن الماضي. قرأنا عنهُ القصة التالية وهي غير مذكورة في سيرته ولكن يقول الكاتب اكنور المشهور انها من الاخبار الموثوق بصحتها وقد عُرفت حديثاً وخلاصتها انهُ اتى بلاد الانكليز سنة ١٨٤٨ وجال فيها مظهراً براعتهُ الموسيقية وتعرّف بسيدتين غنيتين من اهالي اسكتلندا وهما مسز ارسكن ومسز ستراتج فاعجبتا بهِ واكرمتاهُ جزيل الاكرام . ورجع الى فرنسا وثقلت وطأة السل عليهِ وانفد ما جمعهُ من المال وعضهُ الفقر . فالتفّ اصدقاؤهُ حولهُ وكلهم في الفقر سواء وكتب واحد منهم الى مسز ارسكن يخبرها بحالهِ وبما امسى فيهِ من الفاقة واقترح عليها ان تساعدهُ بشيء من المال خفية حتى لا تهان عزة نفسهِ . فكتبت اليهِ تقول انها ارسلت اليهِ بالف جنيه منذ ثلاثة اشهر بعثت بها اليهِ مع رجل امين من خدامها والرجل سلّم الظرف الذي فيهِ هذا المال من البنكنوط الى بواب المنزل الذي كان شوبان فيهِ فهل يحتمل ان يكون البواب قد اختلس المال ولم يسلمهُ لشوبان

وسئل البواب فانكر انهُ استلم شيئاً واكّد الخادم انهُ سلّمهُ الظرف بيدهِ ولم تشك مسز ارسكن في ذمة خادمها. وبلغ الخبر شوبان فكتب الى صديق لهُ يقول لقد أُسقط في يدي ووقفتُ حائراً في امري لا ادري هل اقول ان تلك السيدة الفاضلة متوهمة انها فعلت شيئاً لم تفعلهُ او اتّهم البواب بالاختلاس وانا اعرفهُ امينا او اسيء الظن بمدام اتيان (صاحبة النزل) او اعتقد ان دخيلاً اصابني في عقلي. وقد جاءتني مسز ارسكن نفسها واخبرتني بما فعلت والحياء يعلو جبينها وانا لم اكن انتظر هبة كبيرة مثل هذه ولا من ملكة الانكليز

واخيراً اشار البواب باستشارة « الكس » وكان الكس هذا معروفاً بانهُ ينام النوم المغنطيسي ويكتشف المخبآت وهو نائم . فذهب شوبان ومسز ارسكن اليهِ فاخبرهما ان الظرف الذي فيهِ النقود سُلّم لشخص ووصف المكان الذي كان فيهِ فاذا الاوصاف تنطبق على اوصاف مدام اتيان وعلى غرفتها التي تنام فيها . ولكنهُ قال انهُ لا يعلم ما فعلت بهِ مدام اتيان الا اذا جيء بخصلة من شعرها او بكف من الكفوف التي تلبسها . فأتي بخصلة من شعرها فقال انها اخذت الظرف

ووضعتهُ في درج قرب سريرها ولم يزل هنالك غير مفضوض

فذهب البواب الى مدام اتيان وجعل يذكرها بانهُ سلمها ظرفاً وانها وضعتهُ في درج ووصفهُ لها فقامت وفتحت الدرج واذا الظرف فيهِ ولم يزل مختوماً فتناولتهُ مسز ارسكن وفتحتهُ واذا فيهِ ٢٥ ورقة نقد كلٌّ منها بالف فرنك . وعلى اثر ذلك كتب شوبان الى صديقهِ المشار اليهِ آنفاً يقول ما رأيك في هذا النوع من الكشف فاني كلما فكَّرتُ فيهِ يعتريني الذهول وكيف لا اصدق صحة التنويم المغنطيسي

نقول ان التنويم صحيح والاعتقاد بصحتهِ صار الآن عامًّا ولكن كشف الحجابات بهِ لا يزال في معرض الريب . وكل الحوادث التي وقعت لنا من هذا القبيل تدلُّ على ان الذين يدَّعون هذا الكشف مخطئون او خادعون . ثم ان مجرد النظر في اصحاب هذه الدعوى يكفي للارتياب في صحتها وهي من هذا القبيل مثل دعوى اكتشاف الكنوز وتحويل النحاس الى ذهب فان اصحاب هذه الدعوى يكونون من افقر الناس مع انهم يدعون انهم يغنون غيرهم . ولو كان من ينام النوم المغنطيسي قادراً في حالة من حالاتهِ ان يعرف الخفايا ويكشف الحجابات لاستخدمهُ الملوك والوزراء ورجال السياسة في كشف ما عند الدول الاخرى من الاسرار ولاستخدمتهُ المحاكم في اكتشاف الجناة ولاكتسب اصحاب هذه القوة من ذلك اموالاً طائلة دفنت ما هم فيهِ من الفقر المدقع ورفعتهم عن الاستجداء بالريال والريالين

ورب قائل يقول ان كان هذا النوع من الكشف غير صحيح فكيف تعللون معرفة هذا الوسيط الكسس ان البواب استلم الظرف وسلمهُ لامرأة يصدق وصفها على مدام اتيان في غرفة يصدق وصفها على وصف غرفتها وهي وضعتهُ في درج ولم يزل غير مفتوح اي انهُ عرف كل ما حدث منذ بضعة اشهر

لذلك تعليلان — التعليل الاول يقول بهِ جماعة من علماء النفس وهو ان ما حدث للبواب ولمدام اتيان بقي اثرهُ في ذاكرتيهما او في عقلهما الباطن ولو نسياهُ وان الوسيط الكسس عرفهُ بالقوة المسماة تلبثي اي شعور العقول بعضها ببعض عن بعد كأنهُ يخرج من كل عقل قوة كالقوة الكهربائية تؤثر في العقول الاخرى او فيما هو معدٌّ لهذا التأثر من العقول . ونحن لم نرَ حتى الآن ادلة تقنعنا بصحة هذا التعليل تمام الاقناع . والتعليل الثاني ان القصة موضوعة او بولغ فيها حتى خرجت عن المألوف . وهذا التعليل اقرب الى العقل لكثرة ما نرى لهُ من الامثلة . فاذا سمعت مائة خبر وبحثت في حقيقتها وجدت عشرها على الاقل مكذوباً وعشرها مبالغاً فيهِ كل المبالغة